تفريغ المحاضرة العلمية
عبر الهاتف بعنوان:

الذب عن السنة أفضل من الجهاد في سبيل الله

ألقاها:

فضيلة الشيخ
الدكتور عبد الإله بن عبد العزيز الرفاعي الجهني حفظه الله

الخميس ٢٩ جمادى الآخرة ١٤٤٥ هـ (١١ يناير ٢٠٢٤ م)
المقامة في مسجد علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه
بمعهد منهاج الأثر بمدينة جَمْبَر بدولة إندونيسيا

محاضرة هاتفية بعنوان

الذب عن السنة أفضل من الجهاد في سبيل الله

لفضيلة الشيخ الدكتور عبد الإله بن عبد العزيز الرفاعي الجهني حفظه الله تعالى

--٢٩ جمادى الآخرة ١٤٤٥--

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ** [آل عمران: ١٠٢]

﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا** ﴾ [النساء: ١]

﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا** ﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد،

فإن أصدق الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكلها محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

أيها الإخوة المباركون! نتكلم اليوم عن موضوع مهم جدا، وهو "**الدفاع عن السنة والذب عنها**".

حتى قال مَن قال من الأئمة الأعلام: ((أن الردَّ على أهل البدع أفضل من الجهاد في سبيل الله)). وبعضُهم قال الرد على أهل البدع -لما قال: ((أنه أفضل من الجهاد في سبيل الله))- قيل: أفضل من الجهاد في سبيل الله؟

قال: ((نعم بكثير)).

وسبب ذلك كما سيتبينّ من كلام العلماء أن المدافِع عن الدين والمبيِّن لبطلان المبطلين، قد عمل عملا عظيما لم يستطعْ القيام عنه مَن جاهد في سبيل الله بسَيْفِه، فإنّ أعظمَ الجهادَين جهادٌ في سبيل الله في الرد على المبطلين وبيانِ عوار ما عندهم وتسفيهِ أقوالهم، وكل ذلك لِما فيه من النفع البالغ والأثر الجليل.

لذلك يقول الإمام ابن القيم رحمه الله كما في كتابه (الفروسية) قال: والفروسية فروسيتان: ١. فروسيةُ العلم والبيان. ٢. وفروسية الرمي والطِّعان.

قال: ((ولما كان أصحابُ النبي ﷺ أكمل الخلق في الفروسيتين فتحوا القلوبَ بالحجةِ والبرهان والبلادَ بالسيف والسنان)).

قال: وما الناس إلا هؤلاء الفريقان ومن عداهم فإن لم يكن ردءًا وعونا لهم فهو كَلٌّ على نوع الإنسان.

قال: وقد أمر الله سبحانه وتعالى رسوله ﷺ بجدال الكفار والمنافقين، وجلادِ أعداءه المشاقين والمحاربين. فعُلم أن الجلاد والجدال من أهم العلوم وأنفعها في المعاش والمعاد ولا يعدل مدادَ العلماء إلا دمُ الشهداء، والرفعةُ وعلوُّ الرتبة في الدارين إنما هي لهاتين الطائفتين، وسائرُ الناس رعيّةٌ لهما منقادون لرؤسائهم.

ويقول الإمام ابن تيمية رحمه الله في بيان ما عند المبطلين من الباطل وكشف في عوار ما لديهم، يقول رحمه الله: فالرادُّ على أهل البدع مجاهدٌ حتى كان يحيى بن يحيى -يعني يحيى بن يحيى النيسابوري، يقول: الذب عن السنة أفضل من الجهاد، والمجاهدُ -يقول ابن تيمية- قد يكون عدلاً في سياسته وقد لا يكون، وقد يكون فيه فجورٌ كما قال ﷺ **«إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وبأقوام لا خلاق له»**

ويقول كذلك في موطن آخر: «وأعداء الدين نوعان» .

أو قبل ذلك يقول: «وإن كان النصح واجباً في المصالح الدينية الخاصة والعامة، مثلُ نقلة الحديث الذين يغلطون أو يكذبون. كما قال يحيى بن سعيد: سألتُ مالكا والثوري والليث بن سعد أظنه والأوزاعي عن الرجل يُتَّهَمُ في الحديث أو لا يحفظ؟»

فقالوا: « بيِّن أمره!»

وقال بعضهم لأحمد بن حنبل: إنه يثقل عليَّ أن أقول: فلان كذا وفلان كذا.

فقال: «إذا سكتَّ أنت وسكتُّ أنا، فمتى يعرف الجاهلُ الصحيح من السقيم؟!»

قال ابن تيمية: ومثلُ أئمة البدع من أهل المقالات المخالفة للكتاب والسنة أو العبادات المخالفة للكتاب والسنة فإن بيانَ حالهم وتحذيرَ الأمة منهم واجبٌ باتفاق المسلمين.

قال رحمه الله: حتى قيل لأحمد بن حنبل: الرجل يصوم ويصلي ويعتكف أحب إليك أو يتكلم في أهل البدع؟ فقال: «إذا صام وصلى واعتكف فإنما هو لنفسه وإذا تكلم في أهل البدع فإنما هو للمسلمين، هذا أفضل». قال ابن تيمية: «فبينَ أن نفع هذا عام للمسلمين في دينهم من جنس الجهاد في سبيل الله».

ثم قال: «إذْ تطهير سبيل الله ودينه ومنهاجه وشرعته ودفع بغي هؤلاء وعدوانهم على ذلك، واجبٌ على الكفاية باتفاق المسلمين». قال: «ولولا من يقيمه الله لِدفع ضرر هؤلاء لفسد الدين، وكان فساده أعظمَ من فساد استيلاء العدوِ على أهل الحق ومن أهل الحق. فإن هؤلاء إذا استولوا لم يفسدوا القلوب، وما فيها من الدين إلا تبع، وأما أولئك فهم يفسدون القلوب ابتداءً».

يقول لك هنا رحمه الله: أن الكفار ومنْ قاتل بالسنان من الكفار، إذا ما غزى المسلمين إنما يستولون على الأرض. وأما القلوب فليست مقصدا لهم ابتداءً، ولكن هؤلاء المبطلين الذين يحرفون في الدين ويثيرون الشبهة على المسلمين، هؤلاء ما قصْدهم إفساد الدين ابتداء ويكونون من هذا الوجه أعظم غلطا وأكثر جرما وأعظم فسادا.

ثم قال رحمه الله عند قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ**﴾ [الحديد:٢٥]

قال: «فأخبر أنه أنزل الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنه أنزل الحديد كما ذكره، فقِوام الدين بالكتاب الهادي والسيف الناصر، ﴿**وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا**﴾ [الفرقان:٣١]»

ثم يقول رحمه الله: «والكتاب هو الأصل، ولهذا أول ما بعث الله رسوله أَنزلَ عليه الكتاب -يعني الحُجج- ومكث بمكة لم يأمره بالسيف، حتى هاجر وصار له أعوان على الجهاد».

قال: وأعداء الدين نوعان: الكفار والمنافقون. وقد أمر الله نبيه بجهاد الطائفتين، لقوله: ﴿**جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ**﴾ [التوبة:٧٣] في آيتين من القرآن.

قال: "فإذا كان الأقوام المنافقون يبتدعون بدعا تخالف الكتاب ويلبسونها على الناس و لم تُبَيَّنْ للناس، فسد أمر الكتاب، وبُدّل الدين، كما فسد دين أهل الكتاب قبلنا بما وقع فيه من التبديل الذي لم يُنكَر على أهله.

قال: وإذا كان أقوام ليسوا منافقين، لكنهم سماعون للمنافقين، قد التبس عليهم أمرهم حتى ظنوا قولهم حقا وهم مخالفون للكتاب، وصاروا دعاة إلى بدع المنافقين، كما قال تعالى: ﴿**لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ**﴾ [التوبة:٤٧]

قال: ((فلا بد أيضا من بيان فعله هؤلاء. بل الفتنة بحال هؤلاء أعظم)).

إذن، رؤوسُ البدع، كما يذكر العلماء أن رؤوس البدع أو رؤساء المبتدعة، هؤلاء منهم جملة من المنافقين، -يعني أنهم أبطنُوا والزندقة وأظهروا الإسلام إفسادا لدين الإسلام من الداخل- فكان بيان حالهم من أعظم الجهاد في سبيل الله، كما سبق النقل عن بعض الأئمة.

بل يقول يحيى بن معين: ((الذب عن السنة أفضل من الجهاد في سبيل الله))

حتى قال الذهلي له: ((الرجل ينفق ماله ويُتعب نفسه ويجاهد، هذا أفضل منه؟))

قال: ((نعم بكثير))

ولماذا بكثير؟ بهذه المعاني التي لا يصل إليها من يقاتلك بالسيف. بل يصل إليها من يريد إفسادَ الدين وإفساد السنة ووضع الدخيل فيها والكذب على الله وعلى رسوله وجعل العقائد الباطلة الفاسدة والتلبيس على المسلمين، كما سيأتي إن شاء الله ذكر شيء منه.

وهؤلاء المنافقون قال الله سبحانه وتعالى ﴿**وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ**﴾. [التوبة:٤٧]

قال ابن تيمية: ((فلا بد أيضا من بيان حال هؤلاء. بل الفتنة بحال هؤلاء أعظم، فإنّ فيهم إيمانا يوجب موالاتهم))

-يعني يقول لك- أن هؤلاء الذين ظاهرهم الإيمان وسمعوا لبدع المخالفين المنافقين، بيانُ حالهم وإظهارُ مخالفتهم أولى ممّن ظهر انحرافُه وبان زيغُه -سواء كان كافرا أو سواء كان نصرانيا أو يهوديا أو منافقا-.

لماذا؟ لأنه فيه صلاح وفيه خير، ولكن دخلت عليه هذه البدعة. فهذا الصلاح الذي عنده وظاهره التديّن، يكون هو جسرا لمرور البدع والضلالات إلى أمة محمد ﷺ. لأنه يقال هذا العالم الفلاني، وهذا الشيخ الفلاني، وهذا الذي فَعل وفَعل ويُدرّس وإلى آخره؛ فكانت الفتنة به أعظم إذا ما تلقى في البدع وبدأ بنشرها، وإن لم يكن متنبّها لحقيقة أمرها.

قال: «فإن فيهم إيمانا يوجب موالاتهم، وقد دخلوا في بدع من بدع المنافقين التي تُفسد الدين. فلا بد من التحذير من تلك البدع وإن اقتضى ذلك ذكرهم وتعيينهم؛ بل ولو لم يكن قد تلقوا تلك البدعة عن منافق؛ لكن قالوها ظانين أنها هدى وأنها خير وأنها دين؛ ولم تكن كذلك لوجب بيان حالها.»

إذن كلما كان الإنسان أقرب للسنة في إظهار الدفاع عنها وبيانِها ونحو ذلك لكنه تلبّس بالبدعة، فالفتنة فيه أعظم.

لذلك ترى أن الأشعرية الفتنة بهم في العالم الإسلامي أعظم من الجهمية والمعتزلة، أعظم من الرافضة أعظم من الصوفية الغلاة.

لماذا؟ لأنهم يدرّسون الفقه، قد يدرسون الفقه الشافعي، ويدرسون الفقه الحنفي ويدرسون النحو ويدرسون التفسير وغير ذلك، ولكن أدخلوا بدع الكلام عن طريق أصول الفقه وعن طريق النحو وعن طريق أصول الدين وعن غيرها من العلوم والأمور.

فلبّسوا على الناس؛ يرون أنهم يفسّرون القرآن يتكلمون في الفقه، يبيّنون علوم الآلة ولكنهم متلطّخين بالبدع.

فكانتْ الفتنة فيهم أعظمَ من غيرهم وإن كان غيرُهم أخطر بدعةً.

قال ابن تيمية: «ولهذا وجب بيان حال من يغلط في الحديث والرواية ومن يغلط في الرأي والفتيا، ومن يغلط في الزهد والعبادة؛ قال: وإن كان المخطئ المجتهد مغفورا له خطؤه، وهو مأجور

على اجتهاده -يعني إذا كان من أهل الاجتهاد- فبيان القول والعمل الذي دل عليه الكتاب والسنة واجبٌ».

قال: «وإن كان في ذلك مخالفةٌ لقوله وعملِه. ومَن عُلم منه الاجتهاد السائغ، فلا يجوز أن يذكر على وجه الذم والتأثيم له، فإنّ الله غفر له خطأه بل يجب لما فيه من الإيمان والتقوى موالاتُه ومحبته..» إلى آخر كلامه رحمه الله.

وكذلك لا بد أن نعلم أن الدعوة إلى الحق لا يمكن أن تكون إلا بأمرين -كما ذكر ذلك ابن تيمية وابن القيم وغيرهما-.

لا بد حين الدعوة إلى الله من أمرين: بيان الحق بأدلته، وكذلك الرد على الباطل وكشفُ الشبهة. لا يمكن للداعية إلى الله أن يدعو إلى الله تعالى إلا بهذين الأمرين؛ يجلّي الحقيقةَ والحقّ ويبيّن الصراط المستقيم، وكذلك لا بد أن يرد على المخالفين. ﴿**وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ**﴾ [الأنعام:٥٥]. لا بد حين إظهار الحق أن يكون الحق ظاهرا بهذين الأمرين بالدعوة إلى الحق وبكشف الباطل وشُبَهه.

***

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه (التبيان في أيمان القرآن) حين كلامِه عند قوله تعالى: ﴿**ن ۚ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ**﴾ [القلم:١].

قال: «القلم الثاني عشر؛ القلم الجامع؛ وهو قلم الرد على المبطلين ورفعِ سنة المُحقّين وكشف أباطيل المبطلين على اختلاف أنواعها وأجناسها وبيانِ تناقضهم وتهافتهم وخروجِهم عن الحق ودخولِهم في الباطل».

قال: «وهذا القلم -يعني قلم الرد على المبطلين الذي سماه بالقلم الجامع- في الأقلام نظير الملوك في الأنام وأصحابه أهل الحجة الناصرون، لِما جاءت به الرسل المحاربون لأعدائهم وهم الداعون إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة المجادلون لمن خرج عن سبيله بأنواع الجدال، وأصحابُ هذا القلم حربٌ لكل مبطلٍ عدوٌ لكل مخالفٍ للرسل، فهم في شأنٍ، وغيرُهم من أصحاب الأقلام في شأنٍ».

إذن، هنا ترى كيف أنه أعلى من مرتبة القلم الراد، لأنه تكلم عن قلم الحساب وقلم التوقيع عن الملوك، وقلم طب الأبدان، يعني يتكلم عن العلوم ونحوها مما تُكتب وتخطّ بالقلم والأمور التي يستخدم فيها القلم من كتابة التواريخ، وتعبيرِ الرؤى، وقلم الشهادة، وقلم اللغة، ونحو ذلك. وختم بالقلم الجامع وبيّن شرفَه ومكانته العظيمة.

كذلك الرد على المبطلين وبيان زيغهم وضلالهم من الأمور التي يُظهر الله بها الدينَ.

وأرعِني سمعَك لهذه الكلمات الجيَاد للإمام ابن تيمية رحمه الله!! وهو الإمام الهُمام العالم الراد على أهل البدع رحمه الله، سواء كانوا من يهود، ومن نصارى، من أهل بدع صوفية أو أشعرية، أو جهمية، أو رافضة، فهو رحمه الله له القدح المعَلَّى في الرد على المبطلين. انظر هنا ماذا يقول؟

قال: "ومن أعظم أسباب ظهورِ الإيمان والدين وبيانِ حقيقة أنباء المرسلين: ظهورُ المعارضين لهم من أهل الإفك المبين، كما قال تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ**﴾ [الأنعام:١١٢] إلى آخر الآيات."

"وقوله تعالى: ﴿**وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ۗ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا**﴾ [الفرقان:٢٧-٢٩] إلى آخر آيات من سورة الفرقان."

قال رحمه الله : "وذلك أن الحق إذا جُحِد وعورض بالشبهات أقام الله تعالى له مما يُحِقُّ به الحقَّ ويُبطل به الباطلَ من الآيات البيّنات ما يُظهره من أدلة الحق وبراهينه الواضحة وفسادِ معارضه من الحق من الحجج الداحضة."

قال: "فالقرآن لما كذّب به المشركون واجتهدوا على إبطاله بكل طريق، مع أنه تحدّاهم بالإتيان بمثله، ثم بالإتيان بعشر سور، ثم بالإتيان بسورة، كان ذلك مما دلّ ذوي الألباب على عجزهم عن المعارضة، مع شدة الاجتهاد وقوة الأسباب، ولو اتَّبعوه من غير معارضة وإصرار على التبطيل لم يظهر عجزهم عن معارضته التي بها يتم الدليل."

يعني: لا تحزن إذا وجدتَ معارضا. فإن المعارِضَ الذي وُجد قد يكون سببا لظهور الدين والإيمان، كيف ذلك؟ بالرد عليه وتجلية الحق بأوضح البراهين وأتمها.

وها هي كتب الردود التي صنفها العلماء، سواء كان هذا ما رد به الدارمي على الجهمية، أو رد به الإمام أحمد على الجهمية، أو ردّ به ابن قدامة على من تكلم عن خلق القرآن أو الحرف والصوت والكلام لله؛ أو ما ردّ به الإمام ابن تيمية رحمه الله على الرافضة والصوفية وعلى المتكلمين؛ وابن القيم وأئمة الدعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب، غيرهم من العلماء الذين جردوا طلب الحق والرد على المبطلين.

لولا الله ثم وجود المعارض الذي كشف العلماء معارضتَه وشبهته لفاتنا علم كثير في كيفية الرد على هؤلاء المبطلين، فلازلنا إلى هذا اليوم، نعود لرد الإمام أحمد على الجهمية. وتتجلى لنا كثير من الضلالات التي وقع بها الأشاعرة المتأخرين الذين ساروا فيها على طريقة الجهمية. وكذلك ما قام به الإمام ابن تيمية في الرد على الرافضة وكشف زيغهم في الرد على المتكلمين وعلى أهل البدع من الأشاعرة وغيرهم.

وكذلك الإمام ابن القيم كُتبه العظيمة النافعة، ككتاب ***(اجتماع الجيوش الإسلامية)*** وإنما تكلم عن قضية العلو لله استوائه على عرشه وهو يرد على الجهمية صَلَبَةً وعلى أشاعرة زمانه الذين يقولون أن الله في كل مكان، فذكر أدلةً كثيرة عظيمة.

وكذلك كتاب ***(الصواعق المرسلة)*** ردَّ فيه أيضا على كثير وكثير من انحرافات المنحرفين تأصيلا وتمثيلا –تأصيلا فيما يتعلق بأصولهم وإبطالها في أول الكتاب، أو تمثيلا في آخره في ذكر مفردات الصفات من العلو واليدين والوجه والعينين ونحو ذلك ورد وبيّن.

لولا هذه الكتب والرد على المبطلين، لَما تجلّت لنا كثير من الحقائق وفي ذلك معنى كلام الإمام ابن تيمية رحمة الله عليه.

وأخذ يستطرد في ذلك ويذكر رحمه الله شيئا من هذه المعارضات لأنبياء الله التي كانت سببا في ظهور الحق.

قال رحمه الله: "وكذلك السحَرةُ لما عارضوا موسى عليه السلام وأبطل الله ما جاءوا به، كان ذلك مما يبيّن الله عز وجل به صِدْقَ ما جاء به موسى عليه السلام." قال: "وهذا من الفروق بين آيات الأنبياء وبراهينهم التي تسمى بالمعجزات وبين ما قد يشتبه به من خوارق السحرةِ وما للشياطين من التصرفات فإن بين هذين فروقاً متعددةً، وأخذ يذكر هذه الفروق".

قال رحمه الله : "وذلك بما يقيمه الله من الآيات والبينات -يعني الانتصار على المبطلين- من الآيات والدلائل التي يَظْهر بها الحق من الباطل، والحال من العاطل والهُدى من الضلال والصدق من المحال والغي من الرَّشاد والصلاح من الفساد والخطأ من السداد، وهذا كالمحْنة للرجال التي تميز بين الخبيث والطيب، قال تعالى: ﴿**مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ**﴾ [آل عمران:١٧٩].

وقال تعالى: ﴿**الم (١) أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (٣) أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٤)**﴾. [العنكبوت:١-٤]

قال: «والفتنة هي الامتحان والاختبار». ثم قال بعد كلامٍ، قال: "والفتنة للإنسان كفتنة الذهب، إذا أُدخل كِيْرَ الإمتحان فإنها تميز جيده من رديئه، فالحق كالذهب الخالص كلما امتحن ازداد جودة، والباطل كالمغشوش المطلي، إذا امتحن ظهر فساده. قال: "فالدين الحق كلما نظر فيه الناظر وناظر عنه المناظر ظهرت له البراهين وقوي به اليقين وازداد به إيمان المؤمنين وأشرق نورُه في صدور العالمين.

قال: «والدين الباطل إذا جادل عنه المجادل ورام أن يقيم عوده المائل أقام الله تبارك وتعالى من يقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق، وتبين أن صاحبه الأحمق كاذب مائق وظهر فيه من القبْح والفساد والحلول والاتحاد والتناقض والإلحاد والكفر والضلال والجهل والمحال ما يظهر به لعموم الرجال أن أهلَه من أضلّ الضلال حتى يظهر فيه من الفساد ما لم يكن يعرفه أكثر العُباد ويتنبَّه بذلك من سِنة الرُقاد من كان لا يميز الغيَّ من الرشاد ويحيا بالعلم والإيمان من كان ميت القلب لا يعرف معروف الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ولا ينكر منكرَ المغضوب عليهم والضالين» إلى آخر كلامه رحمه الله في بيان فضل الرد على أهل البدع وأهل الباطل.

وأن هذا فيه من ظهور الحق وبيان محاسنه وبراهينه ما لو لم تكن هذه الفتنة والرد على المبطلين لَما ظهرت ولما بانت، ولما تميزت عن غيرها.

لذلك فضلُ العلماءِ عظيمٌ -أيها الإخوة- الرادين على الباطل المبينين لضلالهم، فالمُنبغي علينا أن نعرف فضلهم وقدرهم وأن نتمسك بأقوالهم المبنية على الكتاب والسنة.

لذلك يقول الإمام أحمد في مفتتح كتابه الرد على الجهمية، قال: «الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى ويصبرون منهم على الأذى يحْيون بكتاب الله الموتى ويبَصِّرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أَحْيَوْهُ وكم من ضالٍّ تائه قد هَدَوْهُ، فما أحسن أثرهم على الناس وأقبح أثرِ الناس عليهم، ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، الذين عقدوا أَلوِية البدعة وأطلقوا عِنان الفتنة، فهم مختلفون في الكتاب مخالفون للكتاب، مجمعون على مخالفة الكتاب، يقولون على الله وفي الله وفي كتاب الله بغير علم، يتكلمون بالمتَشابه من الكِلام، ويخدعون جهَّال الناس بما يشبهون عليهم فنعوذ بالله من فتنة المضلِّين».

إذن، هذا فضل العلماء الذين يردون، يحيون قلوب الناس وينفعونهم في دينهم ويبينون لهم ما كان واجبا عليهم أن يبينوا من منطلق قول النبي ﷺ: «**الدين النصيحة**» قلنا لمن يا رسول الله؟ قال: «**لله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم**»

وانظر إلى قصة سَأُوْرِدُهَا وهي عظيمة في بابها أوردها الحافظ أبو بكر الخطيب أحمد بن علي بن ثابت البغدادي في تاريخه يبين هناك فضل الرد على أهل البدع، ساق الخطيب في تاريخه بسنده عن الأذْرمي -أحد العلماء- لما أتى به الواثق إلى مجلسه ليناقشه أحمد بن أبي دؤاد.

فقال له: «هذا الرجل أمامك يناقشك في القول بخلق القرآن». فالتفت إليه الشيخ،

فقال: «يا أحمد -يعني ابن أبي دؤاد- أخبرني عن مقالتك هذه هي مقالةٌ واجبة داخلة في عقد الدين فلا يكون الدين كاملا حتى يقال فيه بما قلتَ؟».

قال: «نعم».

قال الأذرمي-هذا العالم المحدث-: "يا أحمد -يعني ابن أبي دؤاد- أخبرني عن رسول الله ﷺ حين بعثه الله إلى عباده هل ستر رسول الله ﷺ شيئا مما أمره الله به في أمر دينهم؟"

فقال: "لا". أو قال له: "هل الدين لا يكمل إلا بالقول بخلق القرآن؟

قال: "نعم".

السؤال الثاني: "هل الدين ستر النبي ﷺ شيئا منه و لم يخبرنا عنه؟ قال: "لا".

فقال الشيخ: "فدعا رسول الله ﷺ الأمةَ إلى مقالتك هذه -القول بخلق القرآن-؟". فسكت ابن أبي دؤاد، فقال الشيخ: تكلم!. فسكت ابن أبي دؤاد.

فالتفت الشيخ إلى الواثق، فقال: "ياأمير المؤمنين واحدة" -يعني هذه واحدة لم يستطع وعجز عن الرد- قال الواثق: "واحدة".

فقال الشيخ: "يا أحمد بن أبي دؤاد أخبرني عن الله ﷻ حين أنزل القرآن على رسول الله ﷺ!، فقال: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**﴾ [المائدة: ٣] كان الله تعالى الصادق في إكمال دينه أم أنت الصادق في نقصانه حتى يقالَ فيه مقالتك هذه!، فسكتَ ابن أبي دؤاد.

فقال الشيخ: "أجب يا أحمد!، فلم يجب.-يعني هو يقول أن هذا الأمر الذي تكلم فيه لم يدع النبي ﷺ الناس إليه وإذا كان ما دعا النبي ﷺ الناس إليه وهو يجب أن ندعو الناس إليه بحيث لا يكمل الدين إلا به- أفهذا المنحرف الضال ابن أبي دؤاد صادقٌ أم أن الله حينما قال: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**﴾ [المائدة: ٣] صادق؟. فما استطاع أن يجيب.

فالتفت الشيخ الأذرمي إلى أمير المؤمنين.

فقال: "يا أمير المؤمنين اثنتان: فقال الواثق: "نعم اثنتان". فقال الشيخ: "يا أحمد أخبرني عن مقالتك هذه! علمها رسول الله ﷺ أم جهلها؟ قال ابن أبي دؤاد : "علمها" قال: "فدعا الناس إليها؟. فسكت.

قال الشيخ:" يا أمير المؤمنين، ثلاث -يعني كيف علمها و لم يدع الناس إليها، ويجب عليه أن يبلغ الدين لا يمكن ذلك!"، فما استطاع أن يجيب.

قال الشيخ: "يا أمير المؤمنين، ثلاث".

فقال الواثق: "ثلاث".

فقال الشيخ: «يا أحمد، فاتّسع لرسول الله ﷺ عن عِلمَها وأمسك عنها كما زعمت و لم يطالب أمّته بها؟»

قال: "نعم".

قال الشيخ: "واتسع لأبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي رضي الله عنهم؟".

قال ابن أبي دؤاد: "نعم".

إذن؛ وصل الآن إلى نهاية المناظرة والمناقشة والإفحام للخصم حيث أنه اتسع للنبي ﷺ، مع زعْمه أنه يعلمها؛ لأنه لم يدع الناس إليها وكذلك الخلفاء الراشدون الذين أمِرنا باتباع سنتهم؛ **«عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين»**.

قال: فأعرض الشيخ الأذرمي عن ابن أبي دؤاد والتفت إلى الخليفة الواثق. فقال: "يا أمير المؤمنين، قد قدّمتُ القولَ أن أحمد يصْبو ويضعُف عن المناظرة". "يا أمير المؤمنين! إن لم يتّسع لك من الإمساك عن هذه المقالة، ما زعم هذا أنه اتّسع لرسول الله ﷺ ولأبي بكر وعمر وعثمان وعلي، فلا وسّع الله على ما لم يتّسع له ما اتسع لهم"، أو قال: "فلا وسع الله عليك".

فقال الواثق: "نعم، إن لم يتسع لنا من الإمساك عن هذه المقالة ما اتسع لرسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي فلا وسَّع الله علينا". اقطعوا قيد الشيخ -لأنه جاء الأذرمي مقيدا إلى الخليفة الواثق ابن المعتصم ابن هارون الرشيد-.

قال: فلمّا قَطع القيد ضرب الشيخُ بيده إلى القيد حتى يأخذه، فجاذَبه الحدّاد. فقال الواثق: "دع الشيخ يأخذه -يعني أخذ الوثاق- فوضعه في كمّه، فقال له الواثق: "يا شيخ، لِم جاذبت الحداد عليه؟

قال: "لأني نَويت أن أتقدم إلى من أوصي إليه، إذا أنا مت أن يجعله بيني وبين كَفَني حتى أخاصم بهذا الظالم عند الله يوم القيامة".

وأقول: "يا رب، سل عبدك هذا لِم قيّدني وروّع أهلي وولدي وإخواني بلا حق أوجب ذلك عليه وبكى الشيخ فبكى الواثق، وبكينا.

ثم سأله الواثق أن يجعله في حلٍ وسعةٍ مما ناله، فقال له الشيخ: والله يا أمير المؤمنين لقد جعلتك في حل وسعة من أول يومٍ إكراما لرسول الله صلى الله عليه إذ كنتَ رجلا من أهله.

فقال الواثق: لي إليك حاجة؟.

فقَالَ الشيخ: إن كانت ممكنة فعلتُ.

فقَالَ له الواثق: تقيم قِبَلَنا فننتفع بك، وينتفع بك فتياننا.

فقال الشيخ: يا أمير المؤمنين، إن ردك إياي إلى الموضع الذي أخرجني عنه هذا الظالم أنفع لك من مُقامي عليك، وأُخبرك بما في ذلك، أصير إلى أهلي وولدي فأكفّ دعاءهم عليك، فقد خلّفتُهم على ذلك.

فقال له الواثق: أتقبل منا صلة تستعين بها على دهرك؟

قال: يا أمير المؤمنين، لا يحل لي أنا عنها غنيٌ، وذو مرّة سويّ.

فقال: سل حاجتك!.

قال: أو تقضيها يا أمير المؤمنين؟.

قال: نعم،

قال: أن تأذن أن يُخلّيَ لي السبيل الساعة إلى الثغر.

قال: قد أذنت لك،

فسلّم عليه وخرج.

***

ثم قال الراوي: -وهو يذكر القصة عن المهتدي بالله وقد كان حاضرا لذلك المجلس- قال: فرجعتُ عن هذه المقَالة-يعني بعد هذه المناظرة-، وأظن أن الواثق قد كان رجع عنها منذ ذلك الوقت.

***

انظر إلى رجلٍ ناظر هذا المبتدع وأحكم الردّ عليه، كيف أنّ الله نفع به فكفّ أمة محمدٍ من هذه البدع التي كان السلطان هو من ينشرها وهو من يقوم بها وهو من يناظر عنها بإتيانه بأهل البدع الذين يَمتحنون علماء أهل السنة، وما ذلك إلا مِن فضل الرد على أهل البدع وبيان منزلته وكريم قدره على الأمة.

فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من الرادِّين على البدع الذابِّين عن سنة النبي ﷺ.

وما يمكن أن يكون هذا أيها الإخوة في الله إلا بالعلم الغزير، فليس كل أحد يستطيع أن يرد على أهل البدع لا بد أن يكون له من العلم الغزير ومِن التجرد عن الهوى، لأن بعض الناس قد يكون عنده علم ولكنه لا يتجرد على الهوى، ليس عنده عدل يجرِّده عن الهوى وأن يكون مُنصفا في مقالاته وكلامه فيتعدى، فيريد أن يكون يردَّ على الباغِي بغْيَه فيتعدى فيكون هو الباغي بعد ذلك، فلا بد أن ننتبه لمثل ذلك.

وأن العلماء إذا ما ردوا إنما يردون بعلم وعدل وإنصاف وتحر وتوْثيقٍ للكلام الذي يراد الردَ عليه حتى يكون كلامَهم وردهم مقبولا عند الله سبحانه وتعالى، وهذا المقام مقام واسع والأمثلة فيه متعددة.

ولكن كما يقال "يكفي من القلادة ما أحاط بالعنق".

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.